ولكن كيف بامكانه ذلك وقد نفى وجود الكيان خارج نطاق النظام وكأن الاردنيين « جيش انكشاري هاشمي » .

ليذهب الباحث وليدرس تاريخ الكيان في هاتين الفترتين وما قبلهما ليجد من هم الذين قادوا الانقلابات العسكرية ضد النظام حتى الان ، ليذهب وليدرس تاريخ القبائل ذاتها وقرى الشمال الاردني وعلاقتها بالنظام . ثم ليذهب وليتعرف على اسماء السجناء السياسيين وليجد نسبة الاردنيين بينهم .

كما انني لا اجد تعبيرا يقابل كلمات الباحث التي يقول فيها بتغيير « البنية الكيانية » ، « واقتحام المسألة الكيانية » . فاذا كان قصده بالتغيير التحويل الثوري فلا خلاف معه ابدا ، ولكن لماذا الاقتحام اذن ؟ ولماذا بناء « كيان — ثورة » ؟ لماذا لا يكون صريحا وواضحا فيقول اما بناء كيان ثوري في الاردن ، فيحد ساعتها مادته البشرية وطبيعته الاجتماعية ، او احلال «كيان — ثورة» محل « كيان — دولة » . وهنا اسأله : كيف ؟

هل بالامكان بناء « كيان — ثورة » ، (ولم استطع ان احدد هوية هذا الكيان البشرية والاجتماعية والوطنية) خارج اطار اجتماعي وثقافي وتراثي ، وبالتالي تاريخي متميز . وكيف يقوم كيان على انقاض كيان اخر دون ان يكون احدهما غير شرعي . واذا درسنا تاريخ شرقي الاردن اجتماعيا وبشريا وجدنا ان هناك كيانا موجودا وسابقا لهوية النظام التي زرعت حول عنقه بفعل عوامل خارجة عن ارادته ، ادركنا ان الكيان الاصطناعي هو « الكيان — الثورة » الذي يتحدث عنه الباحث بالكيفية التي ظهر فيها في اطروحته ، سواء من خلال محاولة تبرير شرعية « زراعته شتلا » او من خلال القفز عن الحقائق التاريخية المادية التي تتعلق بحقيقة الواقع الاردني .

يقول الباحث « أن الانتمائية الكيانية الاردنية ظلت عائمة على السطح ، ولم تصبح من تراث الجماهير المتأصل في وجدانها الوطني لفترة طويلة من تاريخ شرق الاردن ... وان كانت في الفترة الاخيرة قد اتخذت شكلا مرضيا ... وقد بدا هذا الشكل مع وصفي التل ومدرسته .

الحمد لله ، لقد اعترف هنا بوجود جماهير في الاردن .. ثم اعترف بوجود انتماء لدى هذه الجماهير . وكيف يكون هناك جماهير تملك انتماء وليس لديها كيان سوى جهاز الدولة ؟ لقد اقترب من الحقيقة من غير قصده وان كانت غايته تبرير مغالطة اخرى . اعتقد ان عدم اطلاع الباحث على التاريخ العربي بصورة كافية ، ثم عدم تمكنه من حقائق وحيثيات الواقع الاجتماعي والسياسي للشعب الاردني ، وغياب المعرفة النظرية المتعلقة بمضامين الكيانات الاجتماعية والانتروبولوجية ، كل هذه الأمور جعلته يستسهل صياغات نظرية ومفاهيمية فقط خالية من اية دلالة مضمونية . صحيح انه لم يكن هناك قبيلة تحمل اسم « الاردن » ، لكن كان هناك عشرات القبائل في الجنوب والشمال والشرق وعشرات القرى في الوسط والشمال الغربي وفي الغرب ، وهناك مدن اربد والسلط وعمان والكرك قبل مجيء عبدالله ، وقبل لقائه بتشرتشل — وهو التاريخ الذي يحدده الباحث كبداية « للكيان الاردني المصطنع » ، ثم صحيح انه لا توجد قبيلة « هاشمية » في الأردن ليصبح الكيان واقعا ...! وبهذا المعنى هل جميع ابناء العربية السعودية من آل سعود !؟

يبدو ان الباحث غير ملم بحقيقة بديهية حول تطور المجتمعات العربية الحديثة ، وهي ان الانتقال من مرحلة البداوة والقبلية اي حالة المدنية قد تم مباشرة دون المرور بالمرحلة الفلاحية التي غابت في تطور بعض المجتمعات العربية — وخاصة الفنية منها — الحديثة ، وذلك بفعل وصول الالة والمدنية مباشرة فنقلت العربي من الخيمة الى الفيلا .

ثم يقول « ان الانتمائية الكيانية الاردنية ، قد تطورت بشكل مرضي على يد مدرسة وصفي التل المعروفة » . انني لا اعتقد ان الباحث سيجمع الانتمائية والكيانية ، الاولى كموصوف ، والثانية كصفة ، فهما لو قمنا بالدراسة الانتروبولوجية العلمية اصطلاحان يختلفان باعتبار ان الانتماء هو دائما للكيان وبالتالي لا يمكن وضعهما امام صفة اخرى لهما هي « الأردنية » ، لو كان مدركا لمدلولات المفاهيم المستخدمة الاجتماعية العلمية والتاريخية . انه بالامكان القول « الانتمائية الاردنية » مع تبيان المضمون الاجتماعي لهذه الانتمائية ، اي تحديد هوية الأردن ككيان فتخرج بطبيعة الانتماء ...! والمقصود هنا هو ان الانتماء وعي الكيان تاريخيا ، والخطل او الاعتوار قد يكون بالانتماء وليس بالكيان ، ولذلك اذا اردنا وصف الانتماء بأنه مرضي لا يمكن ربطه بالكيان باعتباره صفة له الا اذا اردنا اثبات انتفاء الكيان، وساعتها نتحدث عن ذلك من منظار اخر ، ولا نتحدث عن الانتمائية . اذ انه بمجرد الاقرار بوجود الانتمائية فمعنى ذلك اننا سلمنا حقيقة بواقعية الكيان ووجوده ، والا ، فما هو مصدر الانتماء ».؟